

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الأخوة منتوري - قسنطينة  
UNIVERSITÉ DES FRÈRES  
MENTOURI CONSTANTINE

جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة  
كلية الآداب واللغات

فرع: الدراسات اللغوية

قسم الآداب واللغة العربية

مع: 03 / الأنواع: 12/11/10/09

السنة: الثانية

الأستاذة: سامية سعيه عمّار

# محاضرات مدخل إلى الأدب المقارن

السنة الجامعية : 2021 - 2022م

الموافق لـ 1442 - 1443 هـ

## في مفهوم الأوب المقارن

### • توطئة:

يرى رائد الأوب المقارن عند العرب "محمد غنيمي هلال" أنه كثر الخطأ في تعديده مفهوم الأوب المقارن عندنا حتى اليوم، وفي نشأته عن الأمم، مما كان سببا في تعثر الدراسة فيه، وتنفير الكثير من الدارسين منه، وتضليل الباحثين في جدواه، لذا نرى من الضروري أن نبداً بتعديده معالمه وتوضيحها.

### أولا/ المفهوم اللغوي:

الأوب المقارن هو ترجمة للمصطلح الأجنبي *La littérature comparée*، فالضميمة الثانية في هذا المصطلح المركب تترجم بصيغة اسم المفعول الذي يصاغ من غير الثلاثي بقلب يائه ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره.

### ثانيا/ الاصطلاح:

يتعدو مفهوم الأوب المقارن من الناحية الاصطلاحية بمجموعة من العناصر هي التي يتضمنها تعريف "غنيمي هلال" يقول: «إنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها لمختلفة، وصلاتها الكثيرة والمعقدة في حاضرها وفي ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر، أيا كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر، سواء اتصلت بالأصول الفنية أو بطبيعة الموضوعات، أو كانت خاصة بصور البلاغ المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى»؛ وفيما يأتي شرح لهذا النص.

1) المدلول التاريخي (دراسة التأثير والتأثر): يترتب على هذا التعريف أنه لا يعد من الأدب المقارن ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة ما لم تقم بينهم صلوات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعاً من التأثير أو يتأثر به.

● مثال: أُلّف الكاتب الفرنسي "ستندال" (*Stendhal*) (1783-1842م) كتاباً عنوانه (راسين وشكسبير) لمقابلة الأصول التقليدية في مسرحيات راسين بوجوه الإبداع في مسرحيات شكسبير ويتخذ هذه المقابلة وسيلة للإشادة بأصالة "شكسبير" ودراسته ويثور على القواعد الكلاسيكية التكمية منتصراً بذلك للرومانتيكيين، ويتخذ "راسين" مثلاً للشعراء عبيد القواعد حتى يضرب المثل للإتجاهات الفنية التي ينتصر لها من مسرحيات شكسبير، والكتاب بذلك ذو قيمة في فهم دعوة الرومانتيكية التي اتخذ "شكسبير" و"راسين" تعلقاً للانتصار لها و ذو قيمة كذلك في فهم كاتبه نفسه، وما له من ثقافة، ولكنه ليس من الأدب المقارن لا في منهجه ولا في موضوعه، إذ ليس بين شكسبير وراسين من صلة تاريخية.

والأمر كذلك فيما يعقد مثلاً من موازنة بين الشاعر الإنجليزي "ملتون" (*Milton*) (1674-1906م) وبين "أبي العلاء المعري" (363-1057-972/هـ449م) لأنّ كليهما كان أعمى، وأنتج خاضعاً لهذه العاقبة، ثم على الأخص لأنّ لكل منهما آراء متطرفة فيما يخص الدين وذلك أنّ كلا الأديبين لم يعرف الآخر، ولم يتأثر به، فتشابه آرائهما وظروفهما أو مكانتهما الاجتماعية ليس لها قيمة تاريخية.

فالقصد من دراسة الأدب المقارن هو الوصول إلى شرح الحقائق عن طريق تاريخي، وكيفية انتقالها من لغة إلى أخرى وصلة توالدهما من بعض، والصفات العامة التي احتفظت بها حين انتقلت إلى آداب آخر، ثم الألوان الخاصة التي فقدتها أو كسبتها بهذا الانتقال.

فمن مثل هذه الدراسات ترجى الفوائد، أما تلك الموازنات التي لا تشرح شيئاً، والتي تبقى غامضة لا يوضحها تاريخ، فلا تتجاوز في صالة قيمتها مجهود أستاذ في علم الأحياء ينفق وقته في شرح التقارب شكلاً ولونا بين زهرة وحشرة.

(2) **الموازنات داخل الأدب القومي الواحد:** وكما أخرجنا من حساب الأدب المقارن ما يعقد من موازنات بين آداب ليس بينها صلة تاريخية، كذلك ليس من الأدب المقارن في شيء ما يساق من موازنات داخل الأدب القومي الواحد، سواء كانت هناك صلات تاريخية بين النصوص المقارن بينها أم لا.

● **مثال:** فالموازنة بين أبي تمام والبحتري أو بين حافظ وشوقي في الأدب العربي، وكذلك الموازنة بين "كورني" (Corneille) ورسين (Racine)، أو بين باسكال (Pascal) و"مونتيني" (Montaigne)، أو بين راسين وفولتير (Voltaire) في الأدب الفرنسي يتغلى عنها مؤرخ الأدب المقارن لمؤرخ الأدب القومي.

فمهما أعرنا من الأهمية للموازنات الداخلية لأدب ما، فإنها أقل خصبا وأضيق مجالاً وأهون فائدة من الدراسات المقارنة، وذلك لأنها لا تشرح إلا نمو الاستعداد والمواهب للكاتب في علاقاته مع سابقه من أبناء أمته، وكثيراً ما تسير على وتيرة واحدة، وفي حدود ضيقة، كدراستنا للعريبي وتأثره ببديع لزمان الهمذاني، أو كدراستنا للشعراء اللاحقين وتقليدهم للشعراء الجاهليين في الأدب العربي.

أين ذلك مما لو وضعنا نصب أعيننا أن ندرس موضوعاً كموضوع مجنون ليلي في الأدب العربي، وكيف تطور في الأدب الفارسي، وبعده عن ميدان الحب والغزل العذري إلى ميدان التصوف، أو ندرس تأثير الأدب القديم اليوناني أو اللاتيني في أدب

عصر النهضة وشعرائهم، بناء على نظريتهم في محاكاة الأقدمين أو ندرس تأثير شكسبير في المذهب الرومانتيكي في فرنسا.

فمثل هذه الدراسات تعد من صميم الأدب المقارن، في حين تعد الموازنات الأولى من نطاق الأدب القومي البحت، ويدل مجرد سرؤ الأمثلة السابقة على فضل الدراسات المقارنة على الموازنات بصفة عامة.

(3) **تأويل الكاتب لما قرأه من آداب أخرى:** لا يقتصر الأدب المقارن على الاستعارات الصريحة، وانتقال الأفكار والموضوعات والنماذج الأدبية للأشخاص من أدب إلى آخر بل يشمل أيضا نوع التأثير الذي اصطبغ به الكاتب في لغته التي يكتب بها بعد أن استفاد من أدب آخر، وهو ما نستطيع أن نطلق عليه تأويل الكاتب لما قرأه من آداب أخرى.

▪ **مثال (01):** تأثر صوفية الفرس من المسلمين بالقرآن والحديث، ولكن بعد تأويلهما تأويلا كبيرا، بحيث أدخلوا في مفهومها كثيرا من فلسفة أفلاطون وأفلوطين العاطفية، وكثير من مبادئ التصوف في الهند وإيران القيمة، لكنهم فهموا آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة، أي بعد أن أخضعوها لأرائهم، وظنوا أنهم لها خاضعون، ومع ذلك نعدهم متأثرين بالقرآن والحديث عن طريق التأويل.

▪ **مثال (02):** نرى مثلا آخر لهذا التأويل في الكاتب الإنجليزي كارليل (1795-1881م) حين أول ما قرأه عن الكاتب والشاعر الألماني جوته *Goethe* (1749-1832) فلم يلحظ في إنتاجه الأدبي من جوانب السخرية والبعوض والإنكار وجوانب الاستجابة إل داعي الملذات، إنما رأى فيه ما يتفق وتربيته الخلقية، فرأى فيه حكما يدعو إلى التدين والخضوع لما فرضه الخلق القويم وكان لرأي كارليل صدى قويا في الرأي العام الإنجليزي والذي أثر في الكتاب والشعراء الإنجليز الذين اتخفوه رائدا

خلقيا لهم فيما يكتبون، حتى ليقول الكاتب القصصي الإنجليزي "ادوارد بولور ليتون" في مقدمة قصتين له ذاتي طابع خلقي 1840م: «فيما يخص الفكرة الأولى: فكرة التربية الخلقية أو التعليم العملي، من اليسير أن يرى القارئ أنني موين بها لقصة ويلهلم مستر لجوته»، ويعد هذا في الأدب المقارن من تأثير جوته بتأويل كارليل، وإن كان هذا التأويل في الحقيقة مجانبا للصواب.

(4) **التأثير العكسي:** يندرج في الأدب المقارن نوع آخر من التأثير يسمى التأثير العكسي، وهو أن يقاوم الكاتب أثر كاتب آخر في أوب أمة أخرى، فينتج من هذه المقاومة أثرها في تأليفه.

■ **مثال:** تأثر الشاعر المصري أحمد شوقي في مسرحيته كليوباترا بالمسرحيات الأوروبية الكثيرة في هذا الموضوع، وفيها جميعا اتخذت كليوباترا مثال المرأة الشرقية أو المصرية في نظرهم، فهي مستهترّة ولوعة بالملفات تتخذ إلى غاياتها طرقا ملتوية غير مستقيمة، وقد أراء شوقي أن يدفع هذه النظرة الخاطئة بتصوير كليوباترا وطنية مخلصّة، تقدم وطنها حتى على صباها.

(5) **الهدف من تاريخ الأدب المقارن:** إن تناول الأدب من منظور المقارنة يقضي على الغرور الذي يدفع كل شعب إلى الاعتداد بأوبه والوقوف عند حدوده واحتقار ما عداه، وهذه نظرة سافجة، ولكنها ذات ضرر جسيم إذا سرت إلى المثقلين ومن يزعمون أنفسهم متخصصين.

■ **مثال(01):** مثال ذلك في القديم ما كان العرب يطلقونه في معنى "العجم" من أنه خلاف العرب، ورجل ألهم وقوم عجم، والأعجم من لا يفصح كالعجم من الحيوانات، وقد جاء الإسلام

فقضى على هذه النزعة حين خاطب الناس (حيث وروت هذه اللفظة 140 مرة في القرآن).

مثال (02): نظير ذلك أيضا ما كان من الفرنسيين في القرن 17، (تعيدا سنة 1684م) حين أتى وف ملك سيام فأجاد التعبير عما يريد في بلاط لويس 14، فاندلش الفرنسيون كيف يستطيع غيرهم الإفصاح، مما دفع الكاتب لبرويير *La Bruyère* إلى أن ينعى عليهم ذلك، ومما قاله: «إذا كانت فينا صفات وحشية فهي التي تدفعنا إلى الدهشة من رؤية سوانا من الشعوب يعقل في قوله وصحبه مثلنا».

ونظير ذلك أيضا ما نراه في كلام البعثة اللغوي الفرنسي بوهور *Dominique Bouhours* (1628-1702م) إذ يقول: « إن نطقنا - نحن الفرنسيين- هو النطق الطبيعي، فلغة الصينيين والأسويين غناء، وكلام الألمان صعب وضوضاء، وحديث الإسبان موقّع، ومنطق الإيطاليين زفير، ولغة الانجليز صفير، والفرنسيون وحدهم هم الذين يتكلمون ».

## 6) الأوب المقارن وعلاقته بتاريخ الأوب والنقد:

إنّ الأوب المقارن جوهرى لتاريخ الأوب والنقد في معناهما الحديث، لأنه يكشف عن مصادر التيارات الفنية والفكرية للأوب القومي، فكل أوب قومي يلتقي حتما في عصور نهضاته بالآواب العالمية، لكن مناهج الأوب المقارن ومجالات بعثه مستقلة عن مناهج تاريخ الأوب والنقد، إنما يستعين النقد وتاريخ الأوب بنتائج بعوثة التي تأتي ثمرة التعمق في دراسة الصلات الأدبية العالمية في ذاتها.



## تاريخ نشأة الأوب المقارن

من منطلق اجماع الباحثين حول قضية اكتمال مفهوم الأوب المقارن في أوروبا أولا ، فنحن سنشرع في الحديث عن هذه النشأة عندهم. وفي تتبعنا لهذا العلم الحديث من علوم الأوب سنلّم بنظريات في النقد وبأسس عامة في دراسة تاريخ الأوب كان لها أخطر الأثر في ميلاو لهذا العلم واكتمال معناه.

## أولا/ في العصر القديم:

أقدم ظاهرة لتأثير أوب في أوب آخر هو ما أثار به الأوب اليوناني في الأوب الروماني، ففي عام 146 ق م انهزمت اليونان أمام روما، ولكنها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا وأوبيا، ولم يكن للأوب اللاتيني من أصالة تذكر يستقل بها عن تأثير الأوب اليوناني، فيما عدا ما يحتمل أن يكون في جنس التأريخ والخطابة، إذ يقر مؤرخو الفكر الإنساني أن روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنها ونزعتها الإنسانية وأوبها كله.

والذي يهمنا هنا أنها أثمرت لدى النقاد اللاتين ما كان نواة المحاكاة في عصر النهضة الأوروبية، في معنى محاكاة اللاتين لليونان، والسير على أثرهم، وهذا معنى آخر للمحاكاة يغير المحاكاة التي دعا إليها أرسطو حين أراء أن يسن الصلة بين الفن بعامة وبين الطبيعة.

فالشاعر عنده النقاد الرومان أن يحاكي العباقرة، فيقر "هوراس" (85-08 ق م) في فن شعره: «اتبعوا أمثلة الإغريق واعكفوا على دراستها ليلا ونهارا»، وفي هذا اعتراف منه بأن محاكاة اليونانيين في أوبهم مثمرة على ألا تمحو أصالة الشاعر.



وقد خطا بعده الناقد الروماني كانتليان Quintillian (35 ق م/96م) خطوات واسعة في شرح هذه النظرية التي كانت ذات أثر بعيد المدى لدى النقاد حتى الكلاسيكية، فقد سنّ لهذه المعاكاة قواعد عامة:

**أولها:** أن المعاكاة للكاتب والشعراء مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنه. وهو يقصد طبعا معاكاة اللاتين لليونان.

**والقاعدة الثانية:** أن هذه المعاكاة ليست سهلة، بل تتطلب مواهب، خاصة في الكاتب الذي يحاكي، شأنها في ذلك شأن معاكاة الطبيعة.

**ثالثها:** أن المعاكاة لا ينبغي ان تكون للكلمات والعبارات بقدر ما هي لجواهر موضوع الأدب ومنهاجه.

**رابعها:** أن على من يحاكي اليونانيين أن يختار نماذجهم التي يتيسر له معاكاتها، وأن تتوفر له قوة الحكم ليميز الجيد من الرديء.

وأخيرا يقر "كانتليان" أن المعاكاة في حدّ ذاتها غير طافية، إذ يجب ألا تعوق الشاعر وألا تحول دون أصالته.

### ثانيا/ القرون الوسطى:

وفي القرون الوسطى خضعت الآداب الغربية لعوامل مشتركة تتمثل في مظهرين:

**أولهما ويني:** كان رجال الدين فيه هم المسيطرون، فكان منهم القراء ولكتاب معاً، وتغلغل الروح المسيحي في ذلك الإنتاج الأدبي فكانت اللاتينية هي لغة العلم والأدب، كما هي لغة الكنيسة.

**وثاني** هذين المظهرين العمين كان الفروسية التي وهدت ما كثير من الآداب الأوروبية في تلك العصور.

### ثالثا/ عصر النهضة (الحديث):

1) العصر الكلاسيكي: اتجهت الآداب الأوروبية في القرنين 16 و17 وجهة الآداب القديمة من يونانية ولاتينية، وكان للعرب فضل توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانية بما قاموا به من ترجمات الفلاسفة اليونان، وبخاصة أرسطو، فعاول رجال النهضة الرجوع إلى تلك النصوص في لغاتها الأصلية، ثم أخذوا في طبع النصوص اليونانية وترجمتها والتعليق عليها.

وكانت الدعوة إلى آداب اليونان والرومان ومحاكاتها بمثابة ثورة فكرية في ذلك العصر لأنها كانت تتضمن الخروج من آداب العصور الوسطى ذات الطابع المسيحي.

وخير من يمثل العصر الكلاسيكي جماعة الثريا أو البلياو *Pléiade*، وقد عرفت تاريخ الآداب الغربي جماعات كثيرة عرفت بهذا الاسم، وتوجهها كلاسيكي، حيث كان أصحابها ولوعين بما في الآداب اليونانية والرومانية من اتجاهات إنسانية، وقد اتخذوا من محاكاة هذه الآداب وسيلة ناجعة لإغناء لغاتهم وآدابهم الحديثة.

### 2) الحركة الرومانتيكية:

كان تأثير الحركة الرومانتيكية في نشأة الأدب المقارن محدودا بالدعوة إلى الإفادة من الآداب الأخرى ودراستها في لغاتها الأصلية وفتح آفاق جديدة للآداب القومية في البحث والتأثر، وتوجيه النقد توجيهها علميا كان من ثمرته ظهور الأدب الحديث، كذلك يتمثل تأثيرها في رواها الذين يشكلون ما يعرف في الأدب المقارن بوسطاء الأدب، وهم الأوباء الذين يعرفون آدابهم القومية بأداب أخرى، مثل مدام *Wostan* *M<sup>me</sup> de Staël* التي عرفت الأدب الفرنسي بالأدب الألماني، وكانت تعمل على من لا يعير دراسة الآداب الأخرى

الاهتمام، وكانت في دراساتها تلجأ إلى ضرب الأمثلة بالآداب الأخرى.

ومن رواد الرومانتيكية أيضا نجد سانت بوف *Saint-Beuve* الذي يقرر نظرية (التاريخ الطبيعي لفصائل الفكر) فيرى أن كل كاتب ينتمي إلى نوع خاص من التفكير، وهذه النظرية تعود إلى البحث عن عناصر تكوين الكاتب خارج نطاق أمته، إذ قد ينتمي الكاتب إلى أسرة فكرية عالمية في الآداب، ولهذا جوهرا الأدب المقارن، وسانت بوف يقف وسطا بين الحركة الرومانتيكية والنظرة الواقعية المتأثرة بالحركة العلمية.

### ثالثا/ الحركة العلمية:

أثرت الحركة العلمية في موضوعات الأدب وفي موضوعية النقاد، واتجاههم العلمي إلى الشرح والبحث عن أصول الأفكار، ومن النظريات العلمية التي استندوا إليها نظرية داروين في النشأة والتطور، حيث دفع لهذا الاتجاه إلى البحث عن أصول الأفكار وكيفية التكوين الثقافي للأفراد والأمم، نذكر من الكتب (الأدب المقارن) سنة 1881م للباحث الإنجليزي بويستنت، وكتاب تطور الأدب في مختلف الأجناس للكاتب الفرنسي ليتورنو، وهي كتب تدعو إلى الخروج عن نطاق الأدب الواحد.

كما تأثر النقاد بمنهج المقارنات، والمقارنة ظاهرة علمية، تعتمد على المقارنات في استنباط الحقائق والتعمق فيها، حيث نشأ في البداية علم الحياة المقارن، وعلم التشريح المقارن... فلا بد أن يعزو الأدب صفوها في اتجاهه نحو الأدب المقارن.

ومن الأعلام المتأثرين بالروح العلمية نجد هيبوليت تين  
*Hippolyte Taine* وجاستون باري *Gaston Paris* وبرونتيير *fernand*  
*Brunetiere* وغيرهم...

كما استفاد الأوب من النظريات العلمية التي وجدت في النصف  
الثاني من القرن 19، ومن فلك النظرية الاشتراكية التي يتركز  
فصاها على الدفاع عن حقوق العمال، فتحولت هذه النظرية  
الاقتصادية العلمية إلى ما يعرف بالواقعية في الأوب، حيث كان العلم  
سببا في وجود جمهور جديد للكتاب هو جمهور العمال، بعد أن  
أصبح الكتاب يداون عن العمال في قصصهم ومسرحياتهم.